وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت / كلية التربية للبنات
قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية
الدراسات الاولية / بكالوريوس

المحاضرة الأولى: تعريف التفسير والتأويل

المرحلة : الثانية

مدرس المادة:

م. سبأ علي مزهر

الايميل الجامعي:sMizher@tu.edu.iq

تعريف التفسير لغة واصطلاحا:

التفسير لغة : مصدر فسر بتشديد السين مأخوذ من الفسر بمعنى البيان تقول فسر الشيء يفسره بالكسر ويفسره بالضم فسرا وفسره ابانه والتفسير مثله والفسر كشف الغطاء والتفسير كشف المراد من اللفظ.

فالتفسير هو التبيين مطلقا ومن هنا ندرك ان التفسير في الاصل ليس خاصا في القرآن الكريم ويؤيد ذلك القرآن نفسه فقد جاء فيه التفسير بمعنى مطلق البيان قال تعال:

(ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا).

أي احسن بيانا وتفصيلا بما نضربه من الامثلة وما نسوقه من الادلة لكن لفظ التفسير شاع وانتشر بين الناس بحيث اذا اطلق يكون المراد منه بيان المعنى الذي يقصده القرآن سواء كان حقيقة ام مجاز، الا ان بعض العلماء يرى ان لفظ التفسير خاص بما ابان عن الحقيقة دون المجاز فهذا ضياء الدين الموصلي يقول في كتابه: المثل السائر (لقد ذهب بعضهم في القريق بين التفسير والتاويل الى شيء اخر غير مرض فقال التفسير بيان وضع اللفظ حقيقة كتفسير الصراط بالطريق .

والتاويل : اظهار الحق باطن اللفظ كقوله تعالى : (ان ربك لبالمرصاد) فتفسيره من الرصد يقال : رصدته اذا رقبته ؛ والمرصاد مفعال منه. وتاويله : تحذير العباد من تعدي حدود الله ومخالفة اوامره.

ولكننا لو رجعنا الى مادة التفسير في اللغة لوجدناها تدل على الكشف والبيان وهذا لا يختص ببيان حقيقة اللفظ دون مجازه بل يشملها معا.

وهو الراجح في نظري.

التفسير في الاصطلاح : اما تعريف التفسير اصطلاحا فقد اختلفت اساليب المفسرين في تعريفه فهذا ابو طالب الثعلبي يعرفه فيقول:

((هو بان وضع اللفظ القراني اما حقيقة او مجازا)).

وعرفه ابو حيان في البحر المحيط :

((بانه علم يبحث عن كيفية النطق بالفاظ القران الكريم ، ومدلالوتها واحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك)).

وعرفه الزركشي : بانه علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان معانيه واستخراج احكامه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان واصول الفقه والقراءات ويحتاج ذلك الى معرفة اسباب النزول والناسخ والمنسوخ .

وعرفه السيوطي :

((بانه كشف المراد عن اللفظ المشكل)).

والمتامل في هذه التعاريف يلحظ تعريف الزركشي ادقها تحديدا وواوضحها اسلوبا وايسرها فهما الا انه قد ادخل في تعريف التفسير ما ليس من ماهيته كعلم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان واصول الفقه والقراءات واسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

وعلى ضوء مما سبق نستطيع ان نعرف التفسير تعريفا اكثر تحديد فتقول :

انه الكشف عن مراد الله في قرانه بقدر الطاقة البشرية وبيان ما انطوت عليه اياته من اسرار دقيقة وحكم نيرة .

وتقييد التعريف بالطاقة البشرية لا بد منه لان البشر ليس في مقدورهم ان يعرفوا مراد الله تعالى على وجه الحقيقة.

تعريف التأويل لغة واصطلاحا:

التأويل لغةً : مصدر أوّل يُؤَوّل تأويلا، وثلاثيه آل يؤول.

وفي اشتقاقه قولان :

١-إنه مشتق من آل الأمر إلى كذا يؤول أوْلا ومآلا، إذا رجع وعاد إلى الأصل، ويرد بمعنى التفسير والتقدير والتدبير، يقال: أول الكلام وتأوله، أي: فسّره وقدّره ودبّره.

والتأويل على هذا، مأخوذ من الأَوْل، وهو الرجوع إلى الأصل وعاقبة الأمر، لا من المآل، يقال: آل الأمر إلى كذا أي صار ورجع إليه، ومنه قوله تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ الأعراف:٥٣، أي: يوم تكشف عاقبته. يقول الطبري: »هل ينتظر هؤلاء المشركون الذين يكذبون بآيات الله ويجحدون لقاءه إلا تأويله، يقول: إلا ما يؤول إليه أمرهم من ورودهم على العذاب «. ومنه أيضا قوله: وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ يوسف: ٦، يقول الطبري: »ويعلمك ربك من علم ما يؤول إليه أحاديث الناس عما يرونه في منامهم «.

وقيل: إنه مأخوذ من المآل وهو نفس المرجع والعاقبة والمصير وآخر الأمر، يقال: إلى أي شئ مآل هذا الأمر، أي: مصيره وعاقبته. وقد أولته فآل، أي صرفته فانصرف، فكأن التأويل صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني.

ومنه: وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً يوسف:١٠٠، يقول الطبري: » هذا السجود الذي سجدت أنت واخوتي تأويل رؤياي من قبل، يعني: ما آلت إليه رؤياي التي كنت رأيتها«. ومنه أيضاً: ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً الكهف: ٨٢.

٢-إنه مشتق من الإيالة، وهي السياسة، يقال آل الرعية يؤولها إيالة حسنة، أي ساسها، وهو مؤتال لقومه، أي: سائس محتكم. وعلى هذا الاشتقاق هو أيضا يكون بمعنى الرجوع إلى الأصل، وبمعنى المرجع؛ لأن مرجع الرعية إلى راعيها، أي: سائسها.

ب) التأويل اصطلاحاً:

١-للتأويل في اصطلاح السلف والمتقدمين معنيان :

أولهما: مرادف للتفسير سواء وافق الظاهر أم خالفه وهذا ما يشير إليه الطبري في تفسيره فيقول: القول في تأويل الآية كذا وكذا، وقال أهل التأويل، واختلف في تأويل هذه الآية ونحو

ذلك، ومراده من ذلك التفسير. وفسروا على هذا قوله تعالى: نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِه يوسف:٣٦، أي: بتفسيره.

ثانيهما: هو نفس المراد للكلام، فإذا كان الكلام إنشاء، فتأويله نفس الفعل المطلوب، من فعل المأمور به وترك المحظور. ومنه ما جاء عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها حينما قالت: كان رسول الله يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: »سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم أغفر لنا« ، يتأول القرآن. يعني يتأول قوله تعالى: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ النصر:٣.

وإذا كان الكلام خبرا فتأويله نفس الشيء المخبر به إذا وقع، فتأويل الإخبار عن الساعة ووقتها هو وقت وقوعها فعلا، وهو عين الأمور الموجودة في الخارج سواء كانت ماضية أم مستقبلية. ومنه قوله تعالى: هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ يوسف: ١٠٠، يقول مجاهد: »تأويل الشيء هو الشيء، قال: ومنه تأويل الرؤيا، إنما هو الشيء الذي تؤول إليه«.وبهذا يختلف عن التعريف الأول المرادف للتفسير، لأنه بالمعنى الأول يعنى الكشف عن المعنى وبيانه وشرحه، فهو موجود في اللفظ والذهن والرسم، يفسر الكلام بكلام شارح له، بينما التأويل بالتعريف الثاني هو عين الحقائق الخارجية.

٢ــ اصطلح المتأخرون من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين والمتصوفة والمفسرين للتأويل تعريفا يختلف عن الاصطلاح السابق:

فقد عرفه ابن جزي بقوله: » هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه الظاهر بموجب اقتضى أن يحمل على ذلك ويخرج على ظاهره «. وبمثل هذا التعريف عرفه الآمدي فقال هو: »حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر مع احتماله له بدليل يعضده «.

وبهذا المعنى جاء تعريفه لدى العلماء، ولا يكاد يخرج عن مدلوله هذا مهما اختلفت العبارات، وهذا التعريف يقتضي أن تتوفر جملة شروط في التأويل كي يكون تأويلا صحيحا، منها: أن يحتمل اللفظ المعنى المحمول عليه، وأن يقوم دليل راجح يدل على أن المراد من اللفظ هو المعنى الخفي وليس الظاهر.